

الرَّسَالَةُ ١٣٨

قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي

(Arabic - But now my eyes have seen you.)

أحباي.. حَدِيثَنَا الْيَوْمَ مَوْضُوعُهُ: قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي

ومن سفر أيوب الأصحاح الثاني والأربعين نقرأ العَدَدَيْنِ الخَامِسَ وَالسَّادِسَ:

"بِسْمِ الْأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَيْتُكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التَّرَابِ وَالرَّمَادِ".^١

يسفر أيوب الأصحاح الأول نقرأ أَنَّ الشَّيْطَانَ حِينَ تَمَاتَلَّ أَمَامَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ قَالَ أَنَّهُ: "جَاءَ مِنَ الْجَوْلَانِ فِي الْأَرْضِ وَمِنَ التَّمَشُّيِّ فِيهَا". وفي الرَّسَالَةِ الْأُولَى لِطَرَسِ الرَّسُولِ الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ نَقْرَأُ تَحْذِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشَّيْطَانِ بِالْقَوْلِ: "لَأَنَّ إِبْلِيسَ خَصَمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ يَجُولُ مَلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ". ولقد كَشَفَ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ يَوْمًا لِتَلَامِيذِهِ عَن تَحَايِلِ الشَّيْطَانِ كَيْ يَكْشِفَ بِمَكْرٍ عَن نِقَاطِ الضَّعْفِ عِنْدَ تَلَامِيذِ الرَّبِّ فَقَالَ لَهُمْ: "هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلِبِكُمْ لِكَيْ يُغْرِبْكُمْ كَالْحِطَّةِ". وَخَيْرُ تَعْرِيفٍ لِهَذَا الْمَاكِرِ سَجَلُهُ يُوحِنَا الرَّائِي فِي رُؤْيَاهِ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي عَشَرَ إِذْ قَالَ عَنهُ: "إِنَّهُ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَانِنَا الَّذِي يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلَهِنَا نَهَارًا وَلَيْلًا". وَلَكِنْ بِمَاذَا يَشْتَكِي؟. وَلِمَاذَا يَشْتَكِي؟.

لنقرأ شكواه بالأصحاح الأول من سفر أيوب إذ قال الشَّيْطَانُ لِلرَّبِّ: "هَلْ مَجَانًا يَتَّقِي أَيُوبُ اللَّهِ؟. أَلَيْسَ لِأَنَّكَ سَجَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوَّلَ بَيْتَهُ وَحَوَّلَ كُلَّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟". كَانَ الشَّيْطَانُ يَبْتَغِي بِقَوْلِهِ هَذَا إِعْطَاءَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ عِلَاقَتَنَا بِاللَّهِ قَائِمَةٌ عَلَى الْمَنْفَعَةِ. وَأَنَا نَقْدَمُ وَوَلَاءَ اللَّهِ وَسُجُودًا وَتَعَبُّدًا نَظِيرَ مَا انْتَفَعْنَا وَحَصَلْنَا عَلَى مَكَاسِبٍ وَإِحْسَانَاتٍ. إِنَّهُ يُحَاوِلُ جَاهِدًا إِثْبَاتَ أَنَّ مَحَبَّتَنَا لِلَّهِ لَيْسَتْ نَفِيَّةً خَالِصَةً. وَلَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَحْرِمَ أَيُوبَ مِنْ مُقْتَنِيَاتِهِ وَمِنْ أَوْلَادِهِ لِيَبْرِيَّ أَيُوبَ مِنْ تَهَمِ الشَّيْطَانِ الْبَاطِلَةِ وَافْتِرَاءَاتِهِ عَلَى عِبْدِهِ أَيُوبَ. وَلَمَّا أَعَادَ الشُّكَايَةَ وَالْإِفْتِرَاءَ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَضْرِبَهُ بِمَرَضٍ كَرِيهِ أَفْقَدَ أَيُوبُ الرَّاحَةَ وَأَدْخَلَهُ فِي دَوَامَةٍ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وَمُعَانَاةٍ قَاسِيَةٍ. وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَ أَيُوبُ مُمْسِكًا بِكَمَالِهِ مُبَارِكًا بِاللَّهِ. وَحِينَ أَتَى أَصْحَابُ أَيُوبَ لِتَعْرِيفِهِ أَفْرَعَهُمْ هَوْلُ الْمَصَائِبِ الَّتِي لَحِقَتْ بِهِ. انْدَهَشُوا وَتَحَيَّرُوا ثُمَّ جَلَسُوا عَلَى الْأَرْضِ أَيَّامًا سَبْعَةً بِلْيَالِيهَا صَامِتِينَ. سَبَّ أَيُوبُ يَوْمَ مِيلَادِهِ أَمَامَهُمْ بِأَسْلُوبٍ يَحْتَوِي عَلَى مَرَارَةٍ قَاسِيَةٍ. فَعَضِبَ أَصْحَابُهُ الثَّلَاثَةَ عَلَيْهِ وَحَسَبُوا أَنَّ مَا يُعَانِيهِ كَانَ نَتِيجَةَ حَتْمِيَّةِ لَخَطَايَاهِ وَأَجَابُوهُ بِكَلِمَاتٍ قَاسِيَةٍ. ظَنُّوا خَطَأً أَنَّ اللَّهَ لَا يَمْتَحِنُ عَبْدَهُ الْبَارِ. وَأَنَّ مَا أَصَابَ أَيُوبَ مِنْ بَلَايَا هُوَ قِصَاصٌ لَهُ لَخَطَايَاهِ السَّالِفَةِ.^٢

أشار أصحابه عليه أن يعترف إلى الله طالبا الصفح والغفران. وأن ذلك هو السبيل الوحيد كي تزول عنه بلاياه. قاوم أيوب ما اتهموه به واقفاً بكَمَالِهِ مُقْتِنِعًا بِأَنَّ الْبَلَايَا تَصِيبُ الْأَخْيَارَ وَالْأَشْرَارَ سَوَاءً بِسَوَاءٍ. كَانَ أَيُوبُ يُبْرِيَّ نَفْسَهُ أَمَامَ اللَّهِ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا يُبْرِيَّ نَفْسَهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ. طَالِبًا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكْشِفَ لَهُ لِمَاذَا سَمَحَ لِعَبْدِهِ أَنْ يَجْتَازَ تِلْكَ الْمَصَائِبَ الْمُتَوَالِيَةَ. وَلَكِنَّهُ رَغِمَ مَا كَانَ يُعَانِيهِ كَانَ يُمَجِّدُ اللَّهَ وَيُبَارِكُ أَعْمَالَهُ الْعَظِيمَةَ. وَقَدْ وَرَدَتْ عَلَى لِسَانِ أَيُوبَ كَلِمَاتٌ تَدُلُّ عَلَى تَمَسُّكِهِ بِاللَّهِ وَتَقْوَةِ الْكَامِلَةِ فِي الْقَدِيرِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ: "الْخَيْرُ نَقِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالشَّرُّ لَا نَقِيلُ؟". وَقَوْلُهُ: "عَرِيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي وَعَرِيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ. الرَّبُّ أَعْطَى وَالرَّبُّ أَخَذَ فَلْيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا". إِنْ كَانَ إِبْلِيسُ بِمَكِيدَتِهِ قَصَدَ شَرًّا بِأَيُوبَ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَصَدَ بِهَا خَيْرًا لِعَبْدِهِ الْكَامِلِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي كَانَ يَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ مُمْسِكًا بِإِيمَانِهِ الْوَطِيدِ. وَلَقَدْ أَصْبَحَ أَيُوبُ مَثَلًا يُقْتَدَى بِهِ الْمُؤْمِنُونَ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ لَتَمَسُّكِهِ بِنِقْوَاهِ رَغِمَ شِدَّةَ الْبَلَايَا وَصَبْرَهُ عَلَيْهَا وَلَوْ أَنَّ أَصْحَابَهُ الَّذِينَ كَانُوا قَسَاةً عَلَيْهِ لَدَرَجَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: "مُعَرَّوْنَ مُتَعَبُونَ كَلِمًا".^٣

مَا كَانَتْ تَخْلُو كَلِمَاتُ أَصْحَابِ أَيُوبَ مِنْ حِكْمِ ثَمِينَةٍ. فَمِنْ كَلِمَاتِ أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَيُدْعَى الْإِلْفَازَ التَّيْمَانِي قَوْلُهُ: "طَوْبِي لِرَجُلٍ يُوَدِّبُهُ اللَّهُ. فَلَا تَرْفُضُ تَأْدِيبَ الْقَدِيرِ لِأَنَّهُ هُوَ يَجْرَحُ وَيَعْصَبُ يَسْحَقُ وَيَدَاهُ تَشْفِيَانِ". وَقَوْلُهُ عَن

^١ استمع إلى الإنجيل

إنجيل لوقا ٢٢: ٣١ ،

سفر أيوب ٤٢: ٥-٦ ،

^٢ سفر أيوب ١: ٧-١٩ & ٣: ١٣ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ٨ ، رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٢: ١٠

^٣ سفر أيوب ١: ٢١-٢٢ & ٢: ١٠ & ٤: ١٩-١٧ & ٧: ١٧-٢١ & ٩: ١-١٠ & ١٤: ١ & ١٦: ٢

الإله القدير: "تعرّف به وأسلم بذلك يأتيك خير". وقوله: "من هو الإنسان حتى يزكو أو مولود المرأة حتى يتبرّر هوذا قد يسوه لا ياتمنهم والسّموات غير طاهرة بعيني". يعنى بذلك أن أعمالنا مهما كانت حسنة وبارّة ولكن لا تصلح أن نقف بها لننبرر أمام الله. كان أيوب في حاجة إلى أن يمتحن بالنار كالذهب ليُصقل ويصفو من كل شائبة. فمن كلماته التي تكشف عن اعتداده بنفسه قوله: "وأما الآن فقد ضحك على أصاغري أيّما كنت استكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمي". تدخل في نهاية الأمر صاحب أيوب الرابع وكان أصغرهم. لم يقبل تبرير أيوب لنفسه ولم يرضيه ملامة أصحابه الثلاثة بأن بلاياه كانت نتيجة خطاياهم وأوضح أن من التجارب ما هو تأديب مؤسس على محبة الله لأولاده وليست كلها إعلاناً عن غضب الله على الإنسان بل للتقويم والتخدير والتعليم.¹

وإذا تأملنا تجربة أيوب نرى أن التجارب التي يسمخ بها الله لها حدود. ولا يسمخ الله للشيطان أن يتعداها. ذلك يتضح جلياً في تجربة أيوب كما يتضح أيضاً في تجربة بطرس. كان الشيطان قد طلب أن يغربل تلاميذ الرب يسوع المسيح.. وإذا بالرب يقول: (موجهاً حديثه لتلميذه بطرس) "ولكني طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك وأنت متى رجعت ثبت إخوتك". إن الإيمان عطية من الله نقبلها نحن. وهو بنفسه يحفظها فينا. كان السهم خطيراً الذي وجهه الشيطان لبطرس. فسب ولعن وأنكر سيده. ولكنه رجع "وبكى بكاءً مرّاً". رجع ليكون مقدام شيعه الناصريين وعلى صخرة إيمانه بنى الرب كنيسته. كانت كل شكايه للشيطان على عبد الرب أيوب يختمها بهذه الكلمات: فإيه (ويقصد أيوب) "في وجهك يجدف عليك!". يا له من افتراء!. أما أيوب ففي كل مرة ترتفع شكايه الشيطان ضده يمجّد الله ويبارك أعماله العظيمة. كانت نعمة الله الحافظة هي سند أيوب. فرجع الشيطان مخذولاً مغلوباً على أمره. كعادته في كل مرة يدخل في معركة مع أولاد الله الأمتاء.²

قال يعقوب في رسالته الأصحاح الخامس: "ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتهم عاقبة الرب. لأن الرب كثير الرحمة ورعوف". استفد الشيطان كل حيلة. وعجزت أسلحته أن تفقد أيوب ثقته وإيمانه في الإله القدير.. ليتنا نذكر قول الكتاب: "إن مصارعنا ليست مع دم ولحم بل مع أجناد الشر الروحية في السماويات". إن مصارعنا مع الشيطان لا تتوقف فلقد قال عن نفسه أنه دائم الجولان والتمشي في الأرض. ولكن يعظم انتصارنا بالذي أحبنا. ليتنا نتعلم الصبر من أيوب.. إن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول: لأنكم تحتاجون إلى الصبر.. لقد ظهر الله لأيوب من خلال عاصفة وتحدث إليه وإن لم يعطه إجابة عن تساؤله "ماذا يسمخ الله بالألم". ولكنه كشف له عن عظم محبته.. فما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. "إننا سنفهم فيما بعد". قال بولس الرسول: "الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت".³

لقد أجاب أيوب الرب قائلاً: "قد علمت أنك تستطيع كل شيء ولا يعسر عليك أمر". "قد نطقت بما لم أفهم بعجائب فوقى لم أعرفها". "بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عيني لذلك أرفض وأندم في التراب". لقد ردّ الرب سبب أيوب لما صلى لأجل أصحابه وعوضه بأولاد وبنات وبثروة كذلك. ومن أقوال أيوب: "أما أنا فقد علمت أن وليي حي والأخرى على الأرض يقوم. وبعد أن يفنى جلدي هذا وبثون جسدي أرى الله".⁴

كتب أحد أسرى الحرب العالمية الثانية كلمات عثر عليها في المعسكر الحالك الظلام الذي ذاق فيه عذاب الأسر وذل الأعداء.. فلقد قال: "إني أومن بالشمس حتى ولو لم تكن ساطعة. وأومن بالمحبة حتى ولو لم أحس بها. وأومن بالله حتى ولو صمت ولم يتكلم. لا أعلم ماذا يأتي به الغد ولكني أعلم من يمسيك بالغد". عزيزي القارئ.. لنتك تشرك معي في تلك الصلاة: أبانا السماوي.. أشكرك لأنك لا تدعني أجرب فوق ما أحتمل. ولأنك تعطي مع التجربة المنفذ. أردد مع عبدك بولس الرسول بنقة وإيمان: لأتبي عالم بمن أمنت. وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعني إلى ذلك اليوم. حاجتي إلى قوة معينة. كي أحيا حسب ما يرضيك ما حبيت مجدا لاسمك العظيم القدوس. أرفع صلاتي في اسم يسوع البار منكلا على وعدك الصادق يا من قلت: من يقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

¹ سفر أيوب ٥: ١٧ - ٢٠: ٢٢ & ٢١: ١٥ & ٣٠: ١ & ٢٠: ٤ - ٦ & ٢١: ٢١ & ٢٧: ١٩ & ٢٥: ٣١ & ١٥: ٣٦ - ٥: ١٦

² رسالة بولس إلى مؤمنى أفسس ٦: ١٢، إنجيل لوقا ٢٢: ٣٢، إنجيل متى ٢٦: ٧٥، سفر أعمال الرسل ٢٤: ٥، سفر أيوب ١: ١١

³ رسالة يعقوب ٥: ١١، رسالة بولس إلى رومية ٨: ٣٧ & ١١: ٣٣، ورسالته الأولى إلى كورنثوس ١٣: ١٢، إنجيل يوحنا ١٣: ٧

⁴ سفر أيوب ٤٢: ١ - ٥، ٧ - ١٧ & ١٩: ٢٥ - ٢٧، الرسالة إلى العبرانيين ١٠: ٣٦، رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس ١: ١٢